AL-ZAHRĀ' الزهراء

Jurnal Studi Islam Komprehensif

مجلة الدراسات الإسلامية والعربية

- اللغة العربية وأهمية تدريسها لغير الناطقين بها
- مشاكل تعليم اللغة العربية في إندونيسيا
- كلمات أعجمية في البيان العربي المبين
- قضايا فقهية معاصرة
- جهود المرأة ودورها في رواية الحديث
- كتابة البحث العلمي: خطة وصياغة

Al-Zahrā'	Vol. 4	No. 2	Hal. 105-201	2005	ISSN 1412-226 x

ISSN 1412-226 x

AL-ZAHRÃ' الزهراء

Jurnal Studi Islam Komprehensif

مجلة الدراسات الإسلامية والعربية

Staf Ahli

Agil Mahdali (Jami'ah Islamiyah Hukumiyah Insaniyah Malaysia)
Ja'far Abd. Salam (Al-Azhar University)
Bashiri Abdel Moety Sayyid Darwish (Al-Azhar University)
Huzaemah Tahido Yanggo (UIN Syarif Hidayatullah Jakarta)
Azman Islmail (IAIN Ar-Raniri Aceh)

Penanggung Jawab
Masri Elmahsyar Bidin

Dewan Redaksi
Syaerozi Dimyati
Ahmad Dardiri
Ahmad Sayuti Nasution
Sahabuddin S.
Rusli Hasbi

Sekretaris Redaksi
Umma Farida
Ahmaddin Ahmad Tohar

Editor Bahasa Arab
Shalahuddin An-Nadwi

Editor Bahasa Inggris
Amany Burhanuddin Umar Lubis

Al-Zahrã adalah media yang diterbitkan 2 edisi setiap tahun dalam bahasa Arab untuk peningkatan wawasan bidang Studi Islam. Redaksi menerima tulisan berupa artikel, laporan penelitian, atau tinjauan buku. Isi tulisan merupakan tanggung jawab penulis.

Alamat Redaksi
Fakultas Dirasat Islamiyah UIN Syarif Hidayatullah Jakarta
Telp & Faks. (+62-21) 7491820
Email :fdiazhar@yahoo.com

Al-Zahra	Vol. 4	No. 2	Hal. 105-201	2005	ISSN 1412-22

DAFTAR ISI محتويات العدد

اللغة العربية و أهمية تدريسها لغير الناطقين بها

صلاح الدين الندوي ١٠٥-١٣١

Bahasa Arab dan Urgensi Pengajarannya bagi Pelajar Non-Arab

Shalahuddin Al-Nadwi 105-131

مشاكل تعليم اللغة العربية في إندونيسيا

أحمد سيوطي ناسوتيون ١٣٢-١٤٤

Problematika Pengajaran Bahasa Arab di Indonesia

Ahmad Sayuthi Nasution 132-144

كلمات أعجمية في البيان العربي المبين

أحمد دردیری ١٤٥-١٥٦

Kata-kata 'Ajam dalam Bahasa Arab

Ahmad Dardiri 145-156

قضايا فقهية معاصرة

رسلي حسبي ١٥٧-١٦٩

Problematika Fiqh Kontemporer

Rusli Hasbi 157-169

جهود المرأة ودورها في رواية الحديث

أم فريدة ١٧٠-١٨٦

Upaya dan Peran Wanita dalam Periwayatan Hadits

Umma Farida 187-201

كتابة البحث العلمي في السياسة الشرعية: خطة وصياغة

أماني برهان الدين عمر لوبيس ١٨٧-٢٠١

Penulisan Karya Ilmiah: Langkah dan Metode Penyusunannya

Amany Burhanuddin Umar Lubis 180-192

اللغة العربية وأهمية تدريسها لغير الناطقين بها

صلاح الدين الندوي*

Abstrak

Mengajar Bahasa Arab yang baik harus dilandasi dengan kaedah-kaedah dasar bahasa, penggunaan metode-metode yang tepat, dan kurikulum baru yang menarik sesuai dengan perkembangan pendidikan. Riset membuktikan bahwa mengajar Bahasa Arab dengan menggunakan metode klasik memerlukan waktu yang lama dan mengakibatkan kejenuhan. Dalam artikel ini, penulis mencoba menawarkan beberapa metode baru yang diharapkan dapat menjadikan pengajaran Bahasa Arab lebih hidup, dan diminati berbagai kalangan.

Kata kunci: *manhaj at-tadris:metode pengajaran*

تمهيد

لجميع اللغات في العالم أهمية خاصة، لأن اللغات هي أداة التعبير والتصوير لمشاعر الإنسان وعواطفه. فاللغات مرآة حياة الأمم والشعوب، نرى فيها صورا منعكسة كاملة لثقافتها ومناطقها الجغرافية، ومدنيتها وعمرانها، وعاداتها وتقاليدها: أفراحها وأحزانها، واجتماعها واقتصادها، ومعاشها ومعادها، وإن شأن اللغات شأن العمران البشري، ينقسم الناس إلى شعوب وأقوام، وألوان وأوطان، وهم يعيشون في مناطق جغرافية معينة، تنشعب فيها القبائل من الشعوب، والقبائل تتفرع إلى عائلات وأسر، والأسرة تتكون من أفراد وأشخاص، طبائعهم مختلفة مثل ملامح وجوههم، وخصائص هويتهم، وألوانهم.

---

* صلاح الدين الندوي أستاذ الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية بجاكرتا- إندونيسيا

واللغات أيضا موزعة ومنتشرة بين مناطق جغرافية، ولها أيضا أسر، مثل: أسرة اللغات السامية وأسرة اللغات الآرية وأسرة الهندو الأوربية وما إليها. إن المفردات والكلمات هي أفراد هذه الأسر، منها كلمات تكون معروفة لدى الجميع وهي مألوفة عندهم مثل: كلمة الأب والأم، الأخت والأخ، الزوج والزوجة، والابن والبنت وما إلى ذلك، ومنها كلمات لايعرفها إلا قلة قليلة من الناس. والبعض منها تكون غير معروفة على وجه الإطلاق، ويحتاج الناس في معرفتها إلى مراجعة المعاجم والقواميس. كما لا يمكن أن نتعرف على مزايا إنسان ومؤهلاته في أول وهلة، أو بنظرة واحدة، بل ربما تنكشف محاسن سيرته الذاتية وهوية شخصيته في سنوات عديدة بعد معايشة طويلة معه، وكذلك هناك كلمات تحمل بداخلها عالما من المعاني والمفاهيم التي تكون في ضمير الإنسان، فلو لم تكن الكلمات المعبرة، لكانت صدور الناس مقابر للمعاني، ويختلف الناس في إدراك المعاني والمفاهيم المكنونة في الصدور كما وكيفا، ولذلك قال بعض النقاد: إن كل كلمة لها معنى، ثم هناك معنى المعنى أو ظل للمعنى. والظلال للمعاني هي لاتنفك أبدا من شخصية المعنى للكلمة، فهناك أرواح وراء كل كلمة يجب أن تدرك.[١]

واللغة العربية إحدي لغات الأسرة السامية، ومن هذه السلالة اللغة السريانية التي اندثرت، والعبرانية بنت خالتها، هي الأخرى لا تعتبر لغة حية، مع أن لها صلة الحسب (صلة الدم) باللغة العربية الحية الخالدة التي كتب لها الخلود والدوام، فالعربية لا تزال حية وباقية ينطق بها ملايين من الناس، وستبقى وتدوم، وسر ذلك أن الله سبحانه وتعالى اصطفاها دون غيرها من اللغات، لتكون هي لغة كلامه المجيد، فالقران نزل بها فبلغت به إلى درجة الإعجاز في البلاغة والبيان العربي المبين.

إن القرآن هو المصدر الأول للدين الإسلامى الحنيف، فهو مصدر للشرائع والأحكام، والرغبة في تحصيل العلوم الإسلامية التي نشأت في المجتمعات الإسلامية بعد شروق وانتشار أشعة نور الإسلام، إنما كان دافعها الحقيقي عاطفة دينية صادقة، وهي عاطفة قراءة القرآن قراءة صحيحة، وإفهام وتفهيم القرآن بصورة صائبة. ولهذا الغرض نفسه تم تدوين الشعر الجاهلي الذي انتقل بالروايات الشفهية من العصر الجاهلي إلى عصر التدوين، ثم وضعت لها قواعدها (النحو والصرف) لحمايتها من اللحن، وحققت اللغة مصادر اشتقاقها، وفحصت الآداب اليهودية والنصرانية لمعرفة تفاصيل قصص الأنبياء والمرسلين السابقين المذكورين في القرآن بأسمائهم، وأنشأت حلقات الدروس والتعاليم في جميع البلدان الإسلامية، فتمخض من تلك الجهود التعليمية فن التفسير، وظهر حتى مستهل هذا القرن أكثر من عشرين ألف كتاب من كتب التفاسير وترجمات القرآن الكريم بين مطبوعة ومخطوطة، وهذه المجموعة هي تلك التي

نجت من طوفان الزمن، ثم أضيفت إليها إضافات مهمة جديدة في هذا القرن، وهي كثيرة، فإذا قلنا إن هناك خمسة وعشرين ألف تفسير وترجمة للقرآن الكريم في حيز الوجود الآن لما كنا مغالين في قولنا هذا، في حين كم من كتب أتلفتها يد الدهر خلال خمسة عشر قرنا، فضاعت أو أضيعت.

إن عربية القرآن في الدرجة القصوى من الفصاحة والبيان، وكل كلمة من تعابير آياته أفصح وأبلغ، ورغم ذلك حاولت جماعة من المستشرقين في هذا القرن لترويج اللغة الدارجة (العامية) على العربية الفصحى، لأنها لغة القرآن، وكانت تلك المحاولات الفاشلة في الواقع ستارا لإبعاد الأمة الإسلامية عن لغة القرآن. ولكن تلك المؤامرات باءت بالفشل – على نحو ما سنذكره – واليوم توجد لهجات عديدة للغة الدارجة في العالم العربي، ولكن العربية الفصحى هي التي يفهمها الجميع من اليمن إلى المغرب العربي. وهذا أيضا من إعجاز القرآن الكريم.

والمزية الأخرى للعربية المجيدة هي وجود الأحاديث النبوية الشريفة، فقد قال رسول الله-ﷺ-: "أنا أفصح العرب والعجم" وقال: "أوتيت جوامع الكلم" ومن المعجزات المثيرة للعجب أن اللسان المبارك الذي نطق بكلمات الوحي وآيات القرآن الكريم هو الذي خرجت منه الأحاديث النبوية الشريفة إلا أن لهجتهما وطبيعتهما، وطابعهما وطبيعتهما مختلفة تماما، وكل من يتعلم اللغة العربية يعرف الفروق بدقة بين آيات القران الكريم وأحاديث المصطفي -ﷺ. وهذه هي مزايا اللغة العربية من الناحية الدينية.

والميزة الثالثة هي أهميتها الأدبية، فحين ظهرت الأغاني وأنشدت القصائد وكتبت الدواوين الشعرية والنثرية، وألفت القصص باللغة العربية كانت لغات كثيرة من لغات العالم في سبات عميق. وحقا كلمة الشعر والشاعر مأخوذة من العربية في كثير من اللغات الآسيوية مثل الأوردية والفارسية والتركية وغيرها، والرديف والقافية أيضا من المفردات العربية. إن لفظة الأدب نفسها عربية الأصل وليست دخيلة أو مترجمة، لأنها لا توجد عند أخواتها من السريانية والعبرية، وفي الواقع إن المفردات مثل: الأسلوب والألوان والفصاحة والبلاغة والسلاسة والصنائع والبدائع وما يتعلق بالأجناس الأدبية والأغراض الشعرية كلها ترجع إلى اللغة العربية أصلا، لأنها نشأت أصلا في حضنها. وفي الواقع ظهرت الأغاني أو فنون الشعر أولا عند العرب، وهي لم تكن تعرف بالقصائد الشعرية وقتئذ، ولذلك ليس من المستبعد أن أبا الفرج الأصفهاني حين أراد أن يسمي كتابه في الشعر العربي سماه بالأغاني ولا بالقصائد.[٢] وأن بحور الشعر في كثير من لغات العالم الإسلامي في الشرق هي الأخرى مستعارة من اللغة العربية وخاصة من الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أوجد فن العروض والقوافي أو الأوزان الشعرية في العربية.

والميزة الرابعة هي ما يتصل بالجانب اللغوى، فمن مزايا اللغة العربية أنها تشمل الإيجاز والإطناب، ولكن إيجازها ليس الإيجاز المخل ولا إطنابها هو الإطناب الممل، والإيجاز والإطناب هنا في معنى أنه يمكن أن يعبر أحد عن غرضه بكلمتين أو بمائة كلمة، فهي غنية بمفرداتها، وهي أقوى لغة في العالم من حيث التأثير في النفوس، وأشدها روعة وبيانا للخطابة، إن اللغة الإنجليزية تعتبر اليوم لغة عالمية، ولكنها تعرف بلغة التصريح المكبوح.

ومن المزايا اللغوية للعربية أيضا أن المفردات تتغير أشكالها فيها بالإضافة والصفة مثل مفردات الأنس والحب والوله والغرام لها درجات مختلفة لبيان عاطفة واحدة. كما نجد للناقة أو للسيف أكثر من مائة كلمة في العربية، وكذلك للذهاب بالناقة إلى موارد الماء تستعمل كلمة "إيراد" وللرجوع منها بعد سقائها تستخدم كلمة "إصدار" رغم أن الكلمتين: "الإصدار" و"الإيراد" نستخدمهما اليوم لـــ "إمبورت" و"إيكسبورت".

إن قواعد اللغة العربية هي الأخرى أوسع وأشمل بحيث أنها كادت أن تستوعب اللغة كلها، ولكن ليس معنى ذلك أنها لا تحتاج إلى التطوير، لأن الكلام يتجدد، فهناك كلام كان في الماضى، وهناك كلام لم يظهر بعد، فهذه القواعد العربية ظهرت إلى معرض الوجود من الكلام الذي كان قد ظهر حتى عصر تدوين القواعد العربية، فاستوعبته، في حين هناك لا توجد أية قاعدة للتذكير والتأنيث في كثير من لغات الشعوب والأمم في العالم. إلا أن الناطقين بالعربية يميزون بينهما بحد سهم. ففي العربية توجد أوزان عديدة للتأنيث والجمع المكسر، و للجمع وجمع الجمع، وكذلك للتفضيل والتصغير صيغ معينة، وإن كانت لفظة مفردة تدل على معان عديدة، فيختلف معناها في صيغة الجمع مثل نفس-بسكون الفاء- جمعه نفوس، ونفس بفتح الفاء يجمع على أنفاس.

ومن المزايا التي تمتاز بها العربية أن كل كلمة فيها تتكون من مادة تشتمل على ثلاثة أحرف، وإن كانت الكلمة فعلا، فهي تتفرع إلى عشرة أبواب للمزيد فيه، كما تنشعب منها مشتقات أخرى مثلا : إن مادة "فعل" يصاغ منها باب التفعيل والإفعال والافتعال والانفعال والاستفعال وغيرها من أبواب المزيد فيه، كما يصاغ منها اسم الآلة على وزن "مفعال"، واسم التفضيل على وزن " أفعل و فعلى"، واسم المبالغة على وزن "فعال" واسم الظرف على وزن "مفعل" وما إلى ذلك، فإذا عرف أحد مادة ثلاثية واحدة لكان على علم بهذه الصيغ، فيمكن عن طريق معرفة هذه المادة أن يعرف معانى خمسين من الكلمات التي اشتقت منها. وهذه المزية للغة العربية وحدها، وليست لسواها من اللغات.

ولقد أشار إرفنج إلى هذه الجدارة عندما كان يتحدث عن قدرة العربية على الاشتقاق والتوليد، وخصوبة المفردات فيها حيث يمكن عن طريق جذور

الكلمات صوغ ما يراد صوغه والتعبير على مستويات مختلفة من دقة الأداء وتفاوت المعنى. وبهذه الجدارة هي إحدى اللغات العظمى في العالم أجمع، إنها بحق إحدى اللغات الكلاسيكية العظيمة وتقف بجدارة على نفس مستوى كل من اليونانية و السنسكريتية.

إنها جديرة بأن تعلم لما تحمله للإنسانية من تراث ثقافي كبير، إن من الثابت تاريخيا و حضاريا أن العربية حملت أمانة نقل علوم اليونان و فلسفاتها إلى العالم أجمع في عصوره الوسطى و في أكثر فتراته ظلاما.

ولقد كانت العربية لغة العلوم في العصور الوسطى حيث نقلت ما أبدعه العلماء المسلمون في الطبيعة و الكيمياء و الرياضيات و الفلك و غيرها. حقا إن اللعربية وعاء حضارة واسعة النطاق، عميقة الأثر، ممتدة التاريخ.

وجدير بالذكر أن العربية لغة أهل البوادي، ولكن من مزاياها أن لغة البدو أفصح وأجدر بالثقة والاعتبار، ولما خرجت هذه اللغة من بيئتها البدوية في شبه الجزيرة العربية بعد طلوع الإسلام، واختلطت بغيرها من لغات الأمم والشعوب الأخرى، صبغتها بلونها، وتركت عليها طابعها، فاللغة الفارسية التي بدأت تكتب بحروف عربية لا تزال تحتفظ نحو خمسين في المائة من مفرداتها التي يرجع أصلها إلى العربية، وإن سبعين في المائة أو أكثر من الأسماء المستعملة في اللغة الأوردية مستعارة من اللغة العربية ولا يختلف الأمر في اللغة التركية إنها أيضا تتضمن آلافا من الكلمات العربية، وإن لغة (الهوسا) هي لغة إفريقيا الشمالية أو لغة (سواحلى) فهي أيضا مدينة للعربية. والكلمات العربية المستخدمة في لغات الأمم والشعوب الآسيوية هي صارت كأنها جزء لا يتجزأ من تلك اللغات، ورغم ذلك أنها تعرف بعربيتها، وذلك لعدم وجود مصادر الاشتقاق لها في تلك اللغات. فنقول بإيجاز ما من لغة من لغات جنوب آسيا وجنوب شرقى آسيا، إلا وهي متأثرة باللغة العربية في قليل أو كثير، حتى الإنجليزية.

إن أبجدية اللغة الإنجليزية نفسها مستعارة من أبجدية اللغة العربية، فهي لا تتضمن فقط تلك الأصوات العربية (التي بها يطلق عليها لغة الضاد) التي لا توجد في اللغة الإنجليزية مثل : ذ، ظ، ض، غ، وما إلى ذلك. وقد كانت حروف الهجاء العربية تكتب في الماضى على حساب الجمل التي نستخدمها اليوم لمعرفة القيمة العددية للحروف، هى: أبجد، هوز، حطى، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ.

فحرف "C" في الإنجليزية يحل محل حرف (ج) العربي، وحتى اليوم كلمة "جلال" تكتب في التركية على شكل "CELAL"، فنقارن الآن الأبجدية الإنجليزية بالأبجدية العربية: (A.B.C.D — أ، ب، ج، د).

وقد حلت عدة حروف في الإنجليزية محل (هوز) يعني: (EFGHIJ) فحرف "E" ينوب عن حرف "هـ" وحروف (FGH) تؤدي صوت "و" وحتى اليوم نحن ننطق صوت (و) بحرفي "GH" كما في كلمة (THROUGH) وكلمة (THOUGH) وحرف "IJ" ينوب عن "ز" وهكذا تحل (EFGHIJ) محل حروف "هوز" في العربية.

وأما مجموعة "كلمن" فهي واضحة لا غبار عليها (KLMN) وكذلك مجموعة حروف "قرشت" (QRST).

وأما أصوات "ثخذ" و"ضظغ" فلا توجد في الإنجليزية هذه الحروف للتعبير عن أصواتها في العربية. فيستعمل للثاء حرفي (TH) ككلمة "THREE" ويعبر عن حرف "خ" بحرفي "KH" وحرف "ذ" بحرفي "DH" وهكذا.

فنقدم هنا فيما يلي عدة أمثلة للكلمات الإنجليزية :"CUP" في العربية كوب، و (TRACK) في العربية طريق، و (CRIME) حرائم، وجمل (CAMEL) وغير ذلك.

وقد تغير شكل بعض الكلمات العربية لدرجة أنه يحتاج إلى البحث والتحقيق في أصلها. مثل مادة: (س ط ر) في العربية، ويراد بها "كتب" ونحن نسمى الخط أيضا سطرا، لأن الكتابة تشكل خطا. ومنها "مسطرة" يعني آلة نسطر بها، ولكن اليوم نستخدم المسطر للأوراق المسطرة يكتب عليها الخطاطون بدون استخدام مسطرة. ويوجد في العربية "أفعولة" الذي يعني "ما يقع عليه شيئ" نحو "أعجوبة" و"أضحوكة" و "أسطورة" وهي تعني الأمر الذي يذكر وجمعها أساطير، وهي تستعمل الآن في معنى MYTH (خرافة/أسطورة) أي أحاديث كاذبة لا أساس لها من الصحة، و قريبة منها الكلمة القديمة Mythos . و منه جاء في القرآن الكريم "ان هذا إلا أساطير الأولين" أي مما سطروا من أعاجيب الأحاديث و كذبها.[٤] وهذه الكلمة بالذات أصبحت (STORY) في الإنجليزية. وإن صوت الهمزة قد يعوض بالهاء فصارت هذه الكلمة (HISTORY) فسائر الكلمات التي تصاغ من (STORY) أو (HISTORY) يرجع أصلها إلى اللغة العربية.

ويمكن أن نقدم لكم أمثلة كثيرة في هذا الصدد إلا أن هذا التمهيد الوجيز لا يتسع لبيانها بالتفصيل. ومن هذه الكلمات لا نريد سوى أن نقدم مظهرا من مظاهر الصلات بين لغات وآداب الأمم والشعوب في العالم وخاصة في العالم الإسلامي، ومظهرا من تأثير الدين الإسلامي فيما يتصل بالآداب من موضوعات وصور وأفكار، لأن الأدب الإسلامي هو ذلك الأدب الذي يتألف من التراث الأدبي المنسوب إلى الشعوب الإسلامية في أرجاء الأرض، في المشارق والمغارب. فمن الخطأ أن نقول إن تراثنا الإسلامي في اللغة العربية وحدها، بل إنه موزع في لغات الشعوب الإسلامية، فالشعراء والكتاب في

ماليزيا وإندونيسيا والهند وباكستان وإيران وتركيا والعرب وغيرها من الشعوب الإسلامية يشكلون أدبا يؤلف وحدة واحدة وكيانا واحدا، لقد ظهرت هذه الآداب الإسلامية في ظل الإسلام، وتأثرت بلغة القرآن والحديث النبوى الشريف والعلوم الإسلامية على اختلافها، وتاريخ الإسلام والتصوف الإسلامى، وكل التيارات العقلية والروحية المنبثقة من الإسلام، وعلى ذلك نجد أن هذه الآداب، وهى في لغات مختلفة ولشعوب وأجناس مختلفة ترتبط في وحدة واحدة متماسكة، وهى متشابهة مترابطة بين بعضها وبعضها الآخر.

وجدير بالذكر أن لغة هذه الآداب المختلفة متأثرة بالعربية، وفيها ما لا يحصى من المفردات العربية، فهذا دليل على أنها جميعا فروع تشعبت من أصل واحد وهو الدين الاسلامي الحنيف. فمنها آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة، فمن يطلع عليها يطلع على حضارة الإسلام التي قامت على الدين القويم والقرآن الكريم، والحديث الشريف.

١- التعريف باللغة العربية:

بعد هذا التمهيد لا حاجة إلى التعريف بالعربية، إلا أنها هي ما رواه لنا أئمة اللغة، وجاء به القرآن الكريم، والحديث النبوى هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب، ولا يعلم بالضبط الوقت الذي تمثلت به بصورتها المعروفة لنا، ولا كل الأسباب التي أدت إلى اندماج لغات بعض هؤلاء الشعوب في بعض، لأن تكوين وتشكيل لغة يحتاج إلى عصر، وغاية ما علم من الآثار الحجرية وبعض الروايات أنه كان في جنوبى الجزيرة وشمالها لغات متميزة كل التميز من العربية التي رويت لنا، ودرست وبقيت لنا منها أشباح تتراءى إحيانا في بعض اللهجات العربية الأخيرة وأوجه إعرابها واشتقاقها وترادف ألفاظها.[٥]

٢- لهجات القبائل العربية في العصر الجاهلى

كما هو معلوم أن المؤرخين يقسمون الجاهلية إلى فترتين: الجاهلية الأولى والثانية، أما الجاهلية الأولى فلا نعرف عنها شيئا سوى ما ذكر في القرآن الكريم، أما الجاهلية الثانية فهى فترة مائة وخمسين سنة أو مائتى سنة على الأكثر قبل الإسلام، وأول شاعر عربى هو امرؤ القيس بن حجر أو المهلل بن ربيعة، كما ذكر الجاحظ في كتابه:الحيوان،[٦] وعلماء اللغات لا يختلفون في وجود لهجات عربية مختلفة في تلك الفترة من الزمن، كما نرى في قول أبى عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير و أقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا، ولكن بعض المستشرقين ينكرون وجود لغة موحدة قبل الإسلام، كما نرى أن المستشرق (مرجوليوث) يستهدف التشكيك في الشعر الجاهلي وفي الإسلام نفسه، فيقول:

كل القصائد الجاهلية التي وصلت إلينا جاءت بلغة القرآن، ولا تمثل لهجات القبائل العربية المتعددة في الجاهلية، ثم لا تمثل الاختلاف بين لغة العدنانيين في الشمال ولغة الحميريين في الجنوب. ويرى أن الإسلام قد ألزم القبائل العربية استخدام لغة القرآن. ثم يقرر بأنه "من الصعب أن نتصور وجود لغة مشتركة قبل مجيء الإسلام" ثم يشك أخيرا بقوله "فوجود الأفكار الإسلامية في أشعار الوثنيين تبرهن بوضوح على التزييف والوضع، واستخدام اللهجة التي جعلها القرآن لغة فصحى تقدم أسسا للشك الخطير".[٣]

من الغريب أن (مرجوليوث) يتجاهل كيف تنشأ لغات الأمم والشعوب؟ وكيف تتطور وتزدهر؟ حتى أنه تجاهل كيف توحدت اللغة اللاتينية التي تكونت من عدة لغات إقليمية في أوربا، ثم انفصلت وتفرعت كل لغة منها في العصر الرومانتيكي وأصبحت لغة إقليمية مستقلة بذاتها.

أما اختلاف اللهجة اليمنية عن العدنانية فهو أمر لا خلاف فيه كما نرى ابن جني يعترف بقوله:

"لسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة بني نزار..." وعندما جاء العلماء لرواية اللغة تحروا ذلك لتفاوت القبائل في الفصاحة، وقد استبعدوا لغة حمير، لأنها تكاد تكون لغة وحدها مخالفة للغة مضر، ولأنهم خالطوا الحبشة، وخالطوا اليهود، وخالطوا الفرس، فتأشبت لغتهم.[٨]

٣- نشأة اللغة الأدبية و تطور خصائصها الفنية في العصر الجاهلي

وكان الاختلاف والتفاوت بين اللهجات العربية العديدة من آثار التطور التاريخي. ومن المعلوم أن "اللغة العربية ظلت قرونا قبل العصر الجاهلي التاريخي، وهي تتطور وتتكون وتأخذ بكل الأسباب التي تكمل خصائصها، وتنوعت فيها عوامل النمو من إبدال واشتقاق، ونحت وتعريب، حتى برزت للتاريخ كاملة ناضجة".[٩]

وهناك عامل آخر أغفله (مرجوليوث) والدكتور طه حسين أيضا مع اعتقادنا بمعرفتهما إياه وهو عامل اللغة الأدبية. فقد عمد العرب إلى تكوين لهجة أدبية تكون أداة للتعبير الأدبي، ينطلق بها الخطباء، ويقول بها البلغاء، ويصوغ بها الشعراء ويتفوه بها الحكماء.

وقد عمت هذه اللغة الأدبية الجزيرة العربية، وارتضاها العرب وارتضتها القبائل وقد بقيت لكل قبيلة لغتها أو لهجتها الخاصة لتستعملها في غير التعبير الأدبي، كالتخاطب والحياة اليومية، تبعا للبيئة التي تعيش فيها، واختلاف طرق الوضع والارتجال.

لقد ظهرت اللغة الأدبية، وازدهرت في الفترة التي اكتملت فيها خصائصها الفنية للشعر العربي، وقد استوى في القول والنظم بهذه اللغة امرؤ

القيس اليمني ولبيد بن ربيعة المضري العدناني، وكانت من نتيجة ذلك أن ينقسم الشعراء العرب إلى شعراء إقليميين وشعراء عموميين. وقد ساعد على إنشاء اللغة الأدبية عوامل كثيرة منها ما اعتبرته العرب أمرا أساسيا وضروريا بالنسبة إليها، وهو وجود لغة موحدة تجمعهم، وتصبح وعاء لأدبهم. وكانت هذه اللغة الأدبية ثمرة التقارب بين لغات القبائل والعشائر، وبها نزل القرآن.[١٠]

إن (مرجوليوث) قد تجاهل هذه الخلفية التاريخية أن القبائل الشمالية أخذت تغير على الجنوب منذ منتصف القرن الرابع الميلادي، بعد أن ضعف شأن الدولة الحميرية، واستقرت هذه القبائل، ونشرت لغتها في جنوب الجزيرة، وكذلك هاجر عدد كبير من عرب الجنوب إلى الشمال، واتخذوا لغة الشماليين لسانا لهم، ونعرف من النقوش التي عثر عليها في الجزيرة العربية أن الخط العربي قد نشأ وتطور شمال الحجاز، وكانت نشأته من الخط النبطي، وأن اللغة التي كتبت بها هذه النقوش هي اللغة العربية في أطوار مختلفة، وردا على (مرجوليوث) نذكر هنا ما قال واحد من المستشرقين هو (هـ. الفرت): "إن الطابع اللغوي واحد بالنسبة للقبائل في استعمال الألفاظ أو في التركيب النحوي" وبالنسبة لما ذكره (مرجوليوث) أن الرواة نسبوا إلى ملوك الجنوب أشعارا مكتوبة بلغة نحن نعلم – بشهادة النقوش – أنها لم تكن لغتهم".[١١] فالرواة المشهود لهم بالعلم لايثقون من الشعر الجاهلي بما يبعد في التاريخ عن مائة وخمسين سنة قبل الإسلام، وما عدا ذلك فهو من الأساطير الشائعة والأخبار الملفقة، والنقوش التي أشار إليها (مرجوليوث) والتي كتبت بلهجات بعيدة عن لغة القرآن، إنما كتبت قبل ذلك التاريخ بعدة قرون، ولم يقل أحد بوجود لغة عربية موحدة، إلا في حدود قرنين من الزمان قبل الإسلام.

ومن هذا المنطلق نرفض النتيجة التي توصل إليها (مرجوليوث) في قوله: "لا يوجد لدينا أى سبب يدعونا إلى افتراض أنها كانت لغة أدبية في أي مكان آخر حتى جاء القرآن".[١٢] وليس من المعقول أن ينزل القرآن بلغة على قوم يجهلونها وليست لغتهم أو هي لغة قبيلة واحدة منهم. (فليس من الغريب أن ينزل الله القرآن وحيا على نبيه بلسان قومه أي بلسان عربي مبين. وذلك على الرغم من وجود آراء أخرى للمستشرقين في هذه اللهجة التي كان الشعراء يتخذونها لغة شعرهم، فقال: "نولدكه" إن الاختلافات بين اللهجات في الأجزاء الأساسية من جزيرة العرب، مثل الحجاز ونجد وإقليم الفرات كانت قليلة، وتركبت منها جميعا هذه اللهجة (اللغة) الفصحى.

وقال (جويدي) إنها ليست لهجة معينة لقبيلة بعينها، إنما هي مزيج من لهجات أهل نجد ومن جاورهم.

وذهب (فيشر) إلى أنها لهجة معينة، ولكنه لم ينسبها إلى قبيلة من القبائل.

وذهب (نالينو) إلى أنها لغة القبائل التي اشتهرت بنظم الشعر، والتي جمع اللغويون والنحاة من أفواهها مادتهم اللغوية وشواهدهم، وهي قبائل معد التي جمع ملوك كندة كلمتها تحت لواء حكم واحد قبل منتصف القرن الخامس الميلادي. وفي رأيه أنها تولدت من إحدى اللهجات النجدية، وتهذبت في زمن مملكة كندة، وصارت اللغة الأدبية السائدة بين العرب.[١٣]

وزعم (بروكلمان) أن العربية الفصحى كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات، وإن غذتها جميعا.[١٤]

إن الدكتور شوقي ضيف قد تناول في كتابه (العصر الجاهلي) اللهجات العربية القديمة الأربع، والتي كتبت منها ثلاثة بالخط المسند الجنوبي، وهي اللهجة الثمودية، واللحيانية والصفوية، والرابعة نبطية وهي مكتوبة بالخط الآرامي، ثم بين كيف نشأت اللغة العربية الفصحى، وتطورت وأصبحت أدبية وازدهرت؟ ثم كيف توحدت في ظل سيادة اللهجة القرشية؟ يقول: "يدل ما بين أيدينا من شعر جاهلي دلالة قاطعة على أن القبائل العربية الشمالية اصطلحت فيما بينها على لهجة أدبية فصحى، كان الشعراء على اختلاف قبائلهم ينظمون فيها أشعارهم، فالشاعر حين كان ينظم شعره يرتفع عن لهجة قبيلته المحلية إلى هذه اللهجة الأدبية العامة (الشائعة) ومن ثم اختفت جملة الخصائص التي تميزت بها كل قبيلة في لهجتها، فلم تتضح في شعر شعرائهم إلا قليلا جدا.[١٥]

لقد كان لقريش نفوذ كبير بسبب مركزها الديني الروحي والاقتصادي المادي، فقد كانت تقوم على حراسة الكعبة، وكانت قوافلها تجوب كل أنحاء الجزيرة العربية، وكانت كل القبائل تجتمع عليه في الأعياد الدينية والأسواق التجارية والأدبية، إذن فقد كانت محط الرحال، ومناط الأنظار، ومهوى الأفئدة. وهي في كل ذلك تعمل على صقل لهجتها وتهذيب حواشيها، باختيار ما عذب في اللسان، وخف على السمع من لهجات هذه القبائل جميعا، وبذلك تهيأ للهجتها (الفصيحة) أن تسود اللهجات كلها، وأن تصبح هي اللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم.[١٦]

فقد نشأت العربية السامية، ومرت بمختلف مراحل تطوراتها، حتى اكتملت خصائصها، وتهذبت في المجامع العربية وأسواقها، فمارس أهلها فنونها التي ازدهرت وترعرعت، واستظهروا شعرها ونثرها وحكمها البالغة وأمثالها السائرة وطاوعهم البيان في أساليبه الساحرة المتمثلة في الحقيقة والمجاز، والإيجاز والإطناب، والرواية والمقالة، وحين ارتفع شأنها، وبلغت بلاغتها كل مبلغ، وقفت على عتبة لغة القرآن في إعجازه اللغوي، تنحني أمام أسلوبه المعجز إجلالا لها، وإعجابا بها، واعترف أعلامها وأساتذتها من فحول اللسان العربي بسمو أسلوبه البياني، إدراكا لأسراره ولا عجب، فتلك إذعانا لعظمتها، ووقف

القرآن من أهالى هذه اللغة موقف التحدى في صور شتى، فعجز بيانهم ولسانهم وتحطمت أقلامهم أمام هذا التحدى.

فهي لغة العرب من أغنى اللغات كلما، وأعرقها قدَماً، وأخلدها أثرا، وأرحبها صدرا، وأدومها على غير الدهر محاسنة وصبرًا، وأعذبها منطقا، وأسلسها أسلوبا، وأروعها تأثيرا، وأغزرها مادة، وأوسعها لكل ما يقع تحت الحس أو يجول في خاطر: من تحقيق العلوم، وسن قوانين، وتصوير الخيال، وتعيين مرافق وهى على هندمَة أوضاعها، وتناسق أجزائها، لغة قوم أميين، لم يكونوا في حكمة اليونان ولا صنعة الصين، بادوا وبقيت بعدهم سائرة مع كل جيل، ملائمة لكل زمان ومكان. لو لا روح عظيم ما خلدت ودرج أقرانها وأنفتْ واستخذى سلطانها، ولا عجب أن بلغت تلك المنزلة: من بسطة الثروة وبعد المدى، إذ كان لها من عوامل النمو، ودواعي البقاء والرقى، ما قلما يتهيأ لغيرها، وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع والدلالة، وغلبت اطراد التصريف، والاشتقاق وتنوع المجاز والكناية، وتعدد المترادفات، إلى النحت والقلب والإبدال والتعريب، ولما تشرفت به من ورود القرآن الكريم والسنة النبوية بلسانها.[١٧]

٢- مزايا اللغة العربية

نحن قد أشرنا في التمهيد إلى بعض المزايا التي تمتاز بها اللغة العربية، ولكنها ليست كافية لبيان أهميتها، فمن المعلوم أن علم اللغة أو فقه اللغة يعلم الإنسان أنواع الثقافات البشرية المختلفة.

وإن الدين يلعب دورا مهما جدا في حياة الشعوب والأمم، بل هو أهم من أى شئ وأغلى من كل شئ، وديننا هو الدين الإسلامى الحنيف، الذي هو منبع قوتنا وسر بقائنا، وكتاب هذا الدين هو القرآن الكريم الذي أنزله الله سبحانه وتعالى من السماء باللغة العربية على النبى العربى الأمى محمد المصطفي -ﷺ-، فعلينا أن نهتم بتعلم وتعليم هذه اللغة المقدسة التي نزل بها القرآن الكريم، ونطق بها المصطفي عليه أفضل الصلاة والسلام، وهو لا ينطق عن الهوى إلا ما يوحى إليه من ربنا، الذي قال: ﴿خيركم من تعلم القرآن وعلمه﴾، فكيف يجب أن نتعلم القرآن؟ هل يمكن تحقيق هذا الهدف من غير تعلم لغته العربية؟ لا.. كلا..

نحن نتعلم اللغة العربية، لأنها لغة حية خالدة، لن تموت أبدا، لأن هذه اللغة لغة كتاب خالد كتب له البقاء والدوام وهو القرآن الكريم، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ فمن الطبيعى أن يدوم هذا الكتاب الروحى بلغته العربية إلى يوم القيامة.

ونحن نتعلم اللغة العربية لأنها لغة أمة هى خير أمة أخرجت للناس، وهى أمة خالدة، وما دامت هى مرتبطة بكتابها الروحى الخالد هى الأخرى لن تموت أبدا، كما قال الشاعر محمد إقبال:[١٨]

لا تخاف الموت هذى الأمة # ﴿نحن نزلنا﴾ لديها حجة
دام ذكرما أقام الذاكر # بدوام الذكر دام الذاكر.

إن اللغة العربية لم تستطع ولن تستطيع أن تبقى في حدود ضيقة، لأنها لغة دين جامع وشامل يشمل البشرية جمعاء، فلم يستطع هذا الدين بلغته العربية أن يبقى محدودا في قبيلة واحدة وهي قبيلة قريش ومنطقة واحدة: مكة المكرمة أو مدينة الرسول -ﷺ- — على منورها ألف سلام — بل تجاوز إلى جميع أنحاء الدنيا من أقصاها إلى أقصاها.

إن اللغة العربية هى لغة نطاقها واسع جدا، بل العرب في العصر الجاهلى كانوا يفخرون على غيرهم من العجم بفصاحة كلامهم وبلاغة لسانهم المعبر عن كل شيء. وكانوا يفرقون بين العرب والعجم بلغتهم العربية، وكانوا يعتبرون غيرهم الأعاجم جمع الأعجمى يعنى الأخرس الذي لا يستطيع أن يعبر عما يوجد في نفسه بلسانه، فما كانت الألفاظ عند العربى مجرد أصوات يقذفها اللسان، وإنما كانت وسائل حاسمة للتأثير في سامعيها، وفي اجتذاب من يخاطب بها، من أجل ذلك كان صانع هذه الأغانى العربية شاعرا أى صاحبَ دراية وعلم، وكان له في رأيهم معارف سحرية خارقة للعادة، فيجلونها لأنها زُخْرُفُ الحياة ويخشونها لما فيها من سحر ومن قوى خفية.[١٩]

وحسب رواية (وهى جديرة بالنظر فيها) إن العرب في جاهليتهم كانوا يعلقون أروع قصائدهم على جدران الكعبة المشرفة،[٢٠] وذلك للتظاهر والتفاخر بالكلام العربى الفصيح والبليغ، فأنزل الله تعالى كتابه القرآن الكريم بلغتهم العربية ليكون واحدا من معجزات النبى الأمى -ﷺ-. فكيف نطلع على هذه المعجزة الفكرية والبيانية (القرآن الكريم) من غير دراسة لغتها العربية، ولذلك نرى من واجبنا أن نركز عيوننا على دراسة لغة القرآن الكريم وعلومه في المناهج الدراسية للتربية والتعليم.

الاستشراق و المستشرقون

الاستشراق هو طلب الرحلة نحو الشرق، والمستشرق معناه: صار شرقياً. و هذا اللفظ يطلق على كل عالم غربي يهوي إتقان لغة من اللغات، أو أدب من الآداب الشرقية.

إن العلاقات بين الشرق والغرب ترجع إلى أزمنة قديمة، وهى كانت متنوعة عبر العصور، كان بعضها ثقافيا وبعضها اقتصاديا وبعضها سياسيا، وصلات الشرق والغرب التي جرت أحداثها خلال القرنين الأخيرين في جانبها

الثقافي وأثرها في الإسلام بصفة خاصة، هي صلات تميزت عن الصلات الأخرى التي تمت من قبل بطابع معين يرجع إلى ظروف هذا الاتصال التي تختلف عن كل ما سبقها من ظروف وملابسات، فقد كان اتصال الإسلام بغيره من الحضارات والثقافات دائما اتصال الغالب بالمغلوب إثر اتصال الند بالند. أما اتصاله بالغرب في هذه الفترة الأخيرة من الزمن فقد كان اتصال المغلوب بالغالب، والمغلوب (مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه وحليته وسائر أحواله وعوائده) كما ورد في قول ابن خلدون،[٢١] فبدأ شعور المسلمين بالحاجة إلى النقل عن الغرب في أواخر القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر، حين أحست تركيا بالضعف والوهن، لأن الدول الأوربية كانت قوية بثوراتها الصناعية، والأوربيون كانوا يتطلعون إلى استعمار الدول الإسلامية، فالفرنسيون استولوا على الجزائر، ثم تونس والمغرب، وروسيا ضمت القوقاز، وإنجلترا سيطرت على الهند ثم على مصر، وهولندا على إندونيسيا. وبعد وقوع الدول الإسلامية في كماشة الاستعمار الأجنبي كان يجب أن يهتم المستعمرون بدراسة لغات أهالي البلدان الإسلامية المستعمرة، وذلك للسيطرة الكلية، فنرى كثيرا من الفرنسيين والألمان والإنجليز والهولنديين يجيدون اللغات الشرقية: العربية أو الفارسية أو التركية أو الهندية أو الإندونيسية ولغة دنيا ملايو، وإن هؤلاء بذلوا مجهوداتهم الضخمة في نقل التراث القومي للشعوب الإسلامية إلى أوربا، حتى نحن نجد اليوم في الدول الأوربية الكبرى ما لانجده في الدول الإسلامية من كتب الأصول والمصادر والمراجع والوثائق التاريخية الخاصة بها، لأنهم أخذوا كل ما كان مهما ومفيدا في عيونهم، وهكذا تم نقل التراث الإسلامي إلى الدول الأوربية في فترات مختلفة وبوسائل متعددة وعن طرق متباينة.

وحين طغت العربية على اللاتينية في إسبانيا، وكثر اعتناق النصارى بالإسلام ازداد الإقبال على دراسة الثقافة الإسلامية، فنشطوا إلى دراسة اللغة العربية والتراث الإسلامي لاستخراج الكنوز الثقافية التي تضمنها المؤلفات العربية، والاستعانة بحضارة المسلمين على إقامة حضارة أوربية. وكان غرضهم الآخر من العربية والعناية بدراسة التراث الإسلامي مهاجمة الإسلام والرد عليه، وصرف الأنظار عنه، لأنهم وجدوا ما فيها من قوة وسحر صرفا النصارى عن دراسة لغتهم وثقافتهم.

وكانت مدرسة (طليطلة) أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوربا، وهدفها تخريج عدد من النصارى المثقفين ثقافة إسلامية للقيام بالتنصير بين المسلمين. ومن أشهر أساتذة المدرسة مستشرقان إسبانيان وهما ريموندلل (RAYMUND LULL) وريموندمارتن (RAYMUND MARTIN) وكان يعتبر كل

منهما حجة في اللغة العربية والدراسات الشرقية. وقامت هذه المدرسة بترجمة نفائس الثقافة الإسلامية إلى العربية.

واستمرت أعمال الدراسات الشرقية على أيادى الرهبان حتى نهاية القرن الثامن عشر على وجه التقريب، ثم أنشأت فرنسا مدرسة أخرى للغات الشرقية في سنة ١٧٩٥م.

ففي البداية كانت دراسة التراث الإسلامى عملا ثقافيا خالصا، ثم أصبحت عملا دينيا أراد به الأوربيون مهاجمة الإسلام وإثارة التشكيك في الدين الإسلامى وعقائده، ثم أصبح الغرض منها سياسيا، إذ أخذت منها أوربا وسيلة لفهم الشرق واستغلاله في تحقيق أطماعها السياسية والاقتصادية.

ولتحقيق هذا الهدف تم إنشاء الجمعية الآسيوية في العاصمة الفرنسية باريس عام ١٨٢٠، ثم حذا الانجليز حذو فرنسا، ثم افتتحت أقسام الدراسات الشرقية في معظم البلاد الأوربية، وظهرت أسماء عدد كبير من المستشرقين في أوربا أمثال: بروكلمان الألماني، وبراون الإنجليزي، وجويدى الإيطالى، ودى جوية الهولندى وغيرهم من الشخصيات اللامعة.[٢٢]

اتجه المستشرقون بادئ الأمر نحو الأندلس، حيث أقبلوا على العربية يتعلموها، ونشأ جيل منهم تلو جيل يقبل على العيش في إحدى بلدان المشرق، أو أكثر من بلد فيه، فيتعلمون اللغة العربية، ويدرسون آدابها، ثم يؤلفون ويحققون أو يترجمون من العربية إلى لغاتهم ولبعض المستشرقين أهداف أخرى تتجاوز الغاية العلمية إلى غايات سياسية أو تجارية أو تنصيرية.

وجدت حركة الاستشراق ازدهارا في القرن التاسع عشر إثر الحملات العسكرية التي استهدفت مصر، وفي ظل التوجه السياسي في عصر النهضة شطر الحضارة الغربية. وتبعاً لظروف اقتصادية. وأخرى دينية تنصيرية-على نحو ما ذكرناه آنفا- وعملية الاستشراق تعد همزة الوصل بين علوم أوروبا وعلوم العرب ومعبراً لاستفادة كل طرف من علوم وفنون الطرف الآخر.

وإذا قصرنا الحديث على الاستشراق الذي استهدفت العلم وتغى الأدب، واستبعدنا من الحديث من يستشرقون لأغراض أخرى إلى جانب العلم كستار أو واجهة يخفون بها أغراضهم وتوجهاتهم، فإننا نجد أثر هذا الاستشراق على العلم والأدب ذا طابع حسن؛ إذ أسهم المستشرقون بنصيب وفير في إحياء تراثنا وتحقيقه، مما عاد على الثقافة الغربية بالنفع والفائدة، كما أن آراءهم ووجهات نظرهم في القضايا الأدبية والتاريخية والعلمية فتحت بابا واسعا للحوار والدراسة والبحث أمام العقل والفكر والوجدان العربي، فانطلق يبحث ويناقش ويرد الرأي بالرأي والحجة بالحجة والدليل بالدليل مستفيداً من المنهج العلمي الذي سلكه المستشرقون في التناول والمعالجة والطرح والتقصي إلخ.

فليس كل ما ذهب إليه المستشرقون صحيحاً، وليس كله خطئا، ومن هنا سنحت الفرصة للأخذ والرد في مجالات مختلفة، وسنحت أيضاً للاستفادة من أسلوبهم ومنهجهم، وما أخرجوه من كتب وحققوه.

ولهم في الحقيقة فضل في إيجاد المنهج العلمي المتميز في دراسة تاريخ الأدب العربي على صورة غير مسبوقة.

ومن أعظم الآثار التي تولدت عن حركة الاستشراق دائرة المعارف الإسلامية التي ألفت بلغات مختلفة، وهي مهمة جدا للتعرف على حضارة المسلمين في جانبيها العربي والإسلامي، وذلك على الرغم مما يوجد فيها من خلط وتحريف ودس.

وكان من تأثير هذه الأعمال الجليلة إرسال بعثات علمية إلى جامعات أوروبا، واستقدام المستشرقين للتدريس في الجامعات العربية، وترجمة إنتاجاتهم للإفادة منها، وتعيين عضويتهم في المجامع اللغوية والعلمية بمصر وبغداد ودمشق.

فلهم ببحوثهم قد أسهموا في تنمية الثقافة الإنسانية، ودفعوا على متابعة تلك البحوث بالزيادة وبالتعقيب أو بالرد، بل إن من المستشرقين النزهاء من تركوا أثرا عميقا في الرأي العام الإسلامي والأوربي.[٢٣]

فاتضح أن هناك مستشرقون منصفون نزهاء، ولكن عددهم قليل جدا لايكاد يتجاوز عدد الأصابع، فإذا قورن بالعشرات الذين ناصبوا الإسلام العداء وكرسوا جهودهم لتشويه وجهه المشرق، وتزوير حقائقه، وتزييف أخباره، وإنكار أفضاله، والتجني على رجاله.

فيحسن بنا أن نذكر في هذا المجال-فضلاً ممن ذكرناهم سابقا-أسماء بعض هؤلاء المستشرقين تكريما لمكانتهم العلمية وإشادة باعتدالهم في بحوثهم المنهجية، فمن الإنجليز نذكر السير (توماس آرنولد) والأستاذ (آربرى) و(الأستاذ جيوم) ومن الفرنسيين نذكر الأستاذ(ماسينيون) والأستاذ(جاك بيرك) والأستاذ (بلاشير) والدكتور (روجيه جارودى) والدكتور (موريس بوكاى) والأخيرين اللذين انتهى بهما تفكيرهما إلى اعتناق الإسلام و التبشير به فيما يقدمانه من بحوث و محاضرات. ومن المستشرقين الأسبان الذين وصفوا بالاعتدال على رأسهم (فرانسسكو كوديرا) وتلاميذه الذين عرفوا بين (كوبيرا)، وهم (خوليان ريبيرا) و(آسين بلاثيوس) و(أنخل جنثالث بالينثيا) و(جاريثا جومس).

ولكن هناك مستشرقون متعصبون، والأمانة العلمية تتطلب منا أن نرد على مطاعنهم على الإسلام وعلى نبينا -ﷺ-، لدحض أقوالهم وافتراءاتهم، والكشف عن حقيقة ما يخفون من أغراض استعمارية أو نزعات صليبية، وعن غاياتهم الخبيثة التي لا تهدف سوى إهانة التعاليم الإسلامية والنيل من قيمها الإنسانية الفاضلة، وزرع بذور الشكوك في نفوس المسلمين، ولا سيما المثقفين

منهم الذين زاد إحساسهم بعدم الاكتفاء الذاتى في مجال العلم وما يخص بحياة الإنسان، وشعورهم بتقدم الغرب خاصة في مجال الحضارة الصناعية ذات الأثر الفعال في التقدم و التطور، و إيجاد الشعور بالتخلف عن موكب الزمن الحضارى في نفوسهم.

ومن هؤلاء المستشرقين المتعصبين الذين خانوا الأمانة العلمية وخالفوا الأصول المنهجية، وانحرفوا عن الموضوعية في دراساتهم الخاضعة للتعصب المقيت ضد العروبة والإسلام المستشرق الإنجليزى (دافيد صموئيل مرجوليوث) (DAVID SAMUEL MARGOLIOUTH) الذي كتب مقالا في نشأة الشعر الجاهلى ونشرها بعنوان: (**أصول الشعر العربى**:ORIGINS OF ARABIC POETRY) في عدد يوليو عام ١٩٢٥م لمجلة الجمعية الآسوية الملكية التي كانت تصدر بلندن، وكان يعمل رئيسا لمحرريها.

والجهود العلمية التي بذلها (مرجوليوث) في مجال تحقيق المخطوطات العربية جديرة بأن تذكر بالشكر والتقدير، إلا أن بحوثه التي لها صلة بالإسلام نرى فيها تعصبه الأعمى ضد الإسلام، وسوء استخدام المنهج العلمى، والجهالة الفاضحة، كما يتضح من كتابه (محمد وطلوع الإسلام: MOHAMMAD AND THE RISE OF ISLAM) الذي نشر في عام ١٩٠٥م، ومن كتابه (الإسلام : MOHAMMADANISM) الذي نشر في عام ١٩١١م، ومنها بحثه عن (العلاقات بين العرب واليهود حتى ظهور الإسلام) الذي نشر في عام ١٩٢٤م.[٢٤]

وكذلك يتضح تعصبه ضد الإسلام من مقاله (أصول الشعر العربى) ويعتبر هذا المقال أخطر مما كتبه المستشرقون بهدف إثارة الشكوك في الشعر الجاهلى للتشكيك في الإسلام، وخاصة له آثاره الخطيرة في نفوس بعض الباحثين المحدثين العرب من المسلمين، مثل الدكتور طه حسين الذي أقام بنيان نظريته في الشك (في الشعر الجاهلى) الذي أصدره في عام ١٩٢٦م على أساس ما جاء به (مرجوليوث) في مقاله (أصول الشعر العربى) من شكوك في عام ١٩٢٥م، يعنى أصدر الدكتور طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلى) بعد عام من نشر مقال (مرجوليوث) فنراه متأثرا في مذهبه بآراء (مرجوليوث) وغيره من المستشرقين المتعصبين، وجدير بالذكر بأن الدكتور طه حسين في كتابه هذا طعن على الدين الإسلامى الحنيف في أربع مواضع:

الأول: أهان الدين الإسلامى بتكذيب القرآن الكريم في أخباره عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بقوله: (ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخى) ص:٢٦ من كتابه.[٢٥]

الثانى: إنه يزعم أن القراءات السبع الثابتة لدى المسلمين جميعا، هي ليست من عند الله، وإنما قرأها العرب حسب ما استطاعت، لا كما أوحى الله بها إلى نبيه.

الثالث: إنه طعن على النبي -ﷺ- طعنا فاحشا من حيث نسبه إلى قريش بكونها صفوة العرب، وبكونه -ﷺ- صفوة الإنسانية جمعاء.

الرابع: إنه أنكر أن للإسلام أولية في بلاد العرب وأنه دين إبراهيم، إذ يقول: (شاعت في العرب أثناء ظهور الإسلام وبعده أن الإسلام يجدد دين إبراهيم، ومن هنا أخذوا يعتقدون أن دين إبراهيم هذا قد كان دين العرب في عصر من العصور، ثم أعرضت عنه، وانصرفت إلى عبادة الأوثان) وذلك لإقامة الصلة بين العرب واليهود من جهة، وبين التوراة والقرآن من جهة أخرى. ص: ٨٠ من كتابه.

فقد استهدف طه حسين كسر القداسة القرآنية بهذه الآراء، وجعل القرآن موضع نقد أدبي كالتوراة، مع أنه يعلم أن التوراة من وضع أحبار اليهود والقرآن الكريم كلام إلهي بذاته، وذلك باستخدامه صيغة المتكلم مباشرة.

٣- آراء بعض المستشرقين في العرب ولغتهم العربية

إن الجنس السامي، أو العربي بالتحديد في عيون المستشرقين في قفص الاتهام، فيقصد (تين) بالجنس الفطرة الموروثة في الأمة إذ لكل أمة منحدرة من جنس معين خصائصها الفطرية التي يشترك فيها السلف والخلف دون استثناء. ونجد هذه الفكر واضحة عند الجاحظ في حديثه عن الأجناس في بعض رسائله، وهي ماثلة عند ابن خلدون في مقدمته، إذ يتحدث عن الجنس العربي وخصائصه و أثرها في حياته السياسية. ويظهر أنها كانت من الأفكار الشائعة في عصر (تين) فقد كان معاصره (رينان: ١٨٢٣م-١٨٩٢م) يعلي من شانها علوا كبيرا على نحو ما يوضح ذلك كتابه (تاريخ اللغات السامية) وفيه يزعم أن الأمم السامية ينقصها الخيال الواسع والتعمق في الحكم على الأشياء، ويقول إنها تعوزها الفلسفة والآثار الأدبية الممتازة، بخلاف الأمم الآرية التي تمتاز بفلسفاتها و شرائعها الاجتماعية القوية وفنونها وآدابها الرفيعة.[٢٧]

ويزعم أن العرب كجنس سامي لا يمتلكون ذلك الخيال التركيبي اللازم لبناء العلوم والفنون كما يرى أن ملكتهم الأساسية هي ملكة الملاحظة للجزئيات، ولكن هذا الرأي مردود لقيامه على الجنس أو العنصر. فمسألة الأجناس كلها لا نستطيع أن نصدر على أساسها حكما على مكانات الشعوب المختلفة، ونظرية الأجناس كلها لا تستند إلا على أساس اللغة، فعلماؤ الأجناس يقسمون البشر على أساس اللغة، فيقولون: الجنس الهندو الأوربي و الجنس السامي، و الجنس الحامي، استنادا إلى اللغة المشتركة التي تفرعت بعد ذلك إلى لغات تستخدمها الشعوب المتفرعة عن كل من هذه الأجناس الكبيرة، وذلك بينما يحدثنا التاريخ أن الهجرات الجماعية قد كانت مستمرة منذ عصر ما قبل التاريخ و في التاريخ القديم، مما أدى إلى تداخل الأجناس على نحو لا يسمح بأن

نزعم أن هناك اليوم جنساً خالصاً، ففي كل شعب نجد أنماطاً مختلفة من البشر بحكم الاختلاط التاريخي بين الأجناس والشعوب، وبذلك يصبح من التعسف الزعم بأن هذا الجنس أو ذلك يتمتع بملكات خاصة به.

ولقد أدى بحث العلماء والمؤرخين إلى تسفيه نظرية الأجناس وتفوق جنس على آخر بعد أن بنت النازية الهتلرية فلسفتها على أساس تفوق الجنس الآري الجرماني على غيره من أجناس العالم تفوقاً فطرياً. فأخذ العلماء يسفهون هذا الرأي على أساس من البحث العلمي التاريخي. ومع ذلك فإن المستشرقين لا يزالون يلحون على هذا الرأي الذي أبداه (رينان) في أواخر القرن الماضي، وقد عاد الرأي نفسه إلى الظهور في القرن العشرين محوراً لبعض الشئ عند المستشرق الفنلندي (هولما) الذي يقول إن العقلية العربية عقلية تجميع لا تركيب، أي أن الكاتب العربي يجمع الملاحظات والأفكار بعضها إلى بعض دون أن يستطيع بنائها فوق بعض في بناء فكري شامخ، وهو يستدل على ذلك بكثرة استخدام الكاتب العربي لحرف العطف (واو) بينما اللغات الأوربية لا تكثر من استخدام هذه الأداة، بل تستخدم نقط الانتهاء، لأنها لا تجمع جزئيات وتضعها جنباً إلى جنب، بل تثبت الحقائق أو ترسم صوراً، لتبني بناء فكرياً أو فنياً يدركه الملتقى عن الكاتب. ومن الواضح أن هذا الرأي الجديد ما هو إلا تحوير لرأي (رينان) القديم عن ضعف الخيال التركيبي عند الجنس العربي بل الجنس السامي كله.[٢٨]

ففكرة الجنس الصافي فكرة خاطئة. وكثيراً ما روج الأوربيون لفكرة أن الجنس الأبيض يتفوق على الجنس الأسود، ليمكنوا لأنفسهم من استعماره ويحصدوا لأنفسهم ثمار أرضه. وليس البياض والسواد رمز تقدم أو تأخر. إنما هي تطورات الحياة الإنسانية في الأمم. وكل ذلك يجعلنا نحذر فكرة الجنس التي أخذ بها (تين) و(رينان) والتي كان يأخذ بها ابن خلدون، والعرب أنفسهم الذين جعلهم ابن خلدون محوراً لكلامه عن الجنس كانوا في الجاهلية يحيون حياة أولية، وأخذت حياتهم بعد الإسلام تطور، فوضعوا القوانين وأقاموا الدول والممالك، وأصبح لهم فلاسفة ومفكرون عظام، واختلطوا في أثناء ذلك بكثيرين من الشعوب التي عربوها، حتى أصبحت كلمة العربي لا تدل على الجنس، وإنما تدل على اللغة، فالعربي هو الذي يتخذ العربية أداة للتعبير عن فكره ووجدانه، مهما يكن إقليمه، ومهما يكن الجنس الذي ينحدر منه. ومعنى ذلك كله أنه ينبغي أن نحتاط إزاء القانون الأول عند (تين) قانون الجنس.[٢٩]

اللغة العربية في العصر الحديث (العربية بين الفصحى والعامية)

إن لغة القرآن الكريم العربية على قمة الفصاحة والبلاغة، والبيان واللسان، حتى وصلت إلى درجة الإعجاز، نرى أن كل كلمة استعمل فيه

أفصح وأبلغ من حيث السياق ومقتضى الحال والمعاني والبيان، ورغم ذلك نرى أن جماعة من المستشرقين تحاول أن تفضل العامية على اللغة العربية الفصحى في العصر الحديث. وهذه المحاولة في الواقع ستار لإبعاد الأمة الإسلامية عن لغة القرآن، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل، وهذه المؤامرة لم يكتب لها النجاح. وتوجد اليوم لهجات عديدة للغة الدارجة في العالم العربي، ولكن العربية الفصحى هي التي يفهمها الجميع من اليمن إلى المغرب العربي، وهذا بفضل إعجاز القرآن الكريم أيضا -كما سبق-.

وإذا طالعنا كتب تاريخ الأدب العربي الحديث لوجدنا أن هؤلاء الذين نادوا باستخدام العامية كلغة الأدب والشعر، وأيدوا دعوات التجديد في الأدب والشعر العربي معظمهم كانوا من النصارى، مثل: إسكندر معلوف من الشام وسلامة موسى من مصر اللذين قد نشرا دعوتهما إلى العامية في مجلة الهلال، أو كانوا من المسلمين الذين تأثروا بثقافات غربية، فأرادوا أن يدمروا الأدب العربي الأصيل، ولغته الفصحى، فحاولوا إشعار المصريين أن تكون لهم شخصية أدبية مستقلة أو لأدبهم المصري شخصية مميزة منفصلة تختلف عن آداب العالم العربي، وكل من يمعن نظره في اللغة العربية الفصحى أو العامية الدارجة المستخرجة من الفصحى سيرى أن هناك أهداف معينة وراء الفصل بين الفصحى والعامية، منها أن يكون لديهم الإحساس بالتفوق والتقدم في مجال العلم والأدب، أو يكون الاستحقار بالعرب ولغتهم العربية، والتفاخر بالقومية المصرية الضيقة، أو الفرعونيات القديمة البالية، وربما دفعهم هذا الإحساس بأنهم أصلا ليسوا من العرب، أو يكون إضرار العلوم الإسلامية بأصولها ومصادرها بالعربية الفصحى، وأن يكون إلباس اللغة المصرية ملابس مميزة تختلف عن ملابس الآخرين من العرب إعجابا بالاستقلالية المجردة. إن هؤلاء الذين نادوا بالعامية هم الذين نادوا بأن "مصر للمصريين"، فإن هؤلاء يرفضون لمصر ولأهاليها أية هوية عربية أو إسلامية سوى قوميتهم المصرية الضيقة، وهذا العمل من جانبهم يدل على كثير من انتمائهم، يعني أنهم لايعتبرون دولتهم دولة عربية أو إسلامية، ويعتبرون اللغة العربية لغة دين المسلمين المستعمرين، (وحين يتحدثون عن الدين الإسلامي الحنيف يقولون إنه دين العرب وليس دين غيرهم) وبهذه الدعوة يريدون التمزق الانقسام بين صفوف المسلمين من العرب وغيرهم، ويساعدون أهداف أعداء العرب والمسلمين الدنئية من المستعمرين الذين لا يضمرون في أنفسهم خيرا لهم، ولا ينظرون إليهم سوى بنظر مصالحهم الذاتية وأغراضهم المادية. ولكن لا يعني هذا أن استفادة اللغة والأدب من لغات وآداب أخرى، والتأثير والتأثر في ما بينها أمر قبيح و مذموم، كما لا يعني أيضا أن التجديد في الفنون والآداب أمر محظور. لا..بل التجديد أمر مهم للغاية، لا مفر منه، باعتباره سنة الحياة، وذلك من أجل تقويم البناء القديم

للآداب والفنون لتساير مستجدات العصر وقضايا الساعة، والتجديد — كما نعلم — يكون دائما على أساس قديم موروث، لأن الأدب من تلك الفنون المتجددة التي لا تنقطع صلة حاضرها بماضيها بحال من الأحوال، أو هو الماضي المستمر، لأن الفن يعتمد على الذوق، والذوق يستمد عناصره من الفطرة والتقاليد الاجتماعية الموروثة والقيم والأخلاق السامية والدين قبل أن يستمد من الثقافة والحضارة ومما يكتشف. فلهذا كله يصبح بالضرورة أن يكون تطور الفن متدرجا دون أن تنقطع صلة حديثه بقديمه بحال من الأحوال.[٣١] وكذلك التأثير والتأثر والإفادة والاستفادة أمر ضرورى جدا، لأن اللغة التي تعيش في منطقة معينة محدودة، لا تفيد جاراتها، ولاتستفيد منها يكون نطاقها ضيق، ومذاقها مر، وتعتبر لغة جافة عند علماء اللغات، ولكن التاثير والتأثر والإفادة والاستفادة، والتجدد أو إعادة النظر من أجل تجديد البناء القديم شيء، والهدم والتدمير شيء آخر تماما. إلا أن كثيرين من الأدباء المرتزقة الموالى للغرب اللذين يشغلون أنفسهم باعتبار مهندسى التغريب في الشرق مثل: الدكتور طه حسين وغيره، وهم كثيرون يعملون في حقل التغريب باسم التجديد، أو دعاة التجديد يقومون بعمليات هدم وتدمير تراث أجدادنا القديم باسم التجديد أو الحضارة والثقافة الحديثة، وأحيانا باسم اكتساب شخصية مستقلة، رغم أن هؤلاء لايملكون آية هوية أو شخصية، حيث أنهم قد فقدوا شخصياتهم العربية الشرقية الأولى، وذابت أمام وهج الحضارة الغربية البراقة، كما تذوب الشمعة وتفقد وجودها الذاتى أمام حرارة الشمس العالية. وفي الواقع أن الجديد المحبوب عندهم هو القديم الأوربى البالى الذي أكل عليه الدهر وشرب، والجديد المقدم من جانبهم ليس فيه شيء من الإبداع والابتكار، بل هو تقليد أعمى للغرب، لا يمكن أن يكتب له النجاح قط.

فإن جماعة من هؤلاء أرادت أن تمصر الأدب العربى كما مصرت أوربا الحديثة أدبها، فأخذ كل شعب فيها منذ كانت النهضة ينفصل عن التعبير باللاتينية إلى لغته المحلية، فكانت الآداب الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وغيرها من الآداب الغربية.

وبهذا القياس رأى محمد عثمان جلال "أن من الخير لنا أن نخلع أثواب العربية الفصحى عن أدبنا، ونتخذ العامية أداة للتعبير عن مشاعرنا، فننشئ بها أشعارنا، ونعطيها فرصة لترسخ وتتوطد على نحو ما رسخت وتوطدت لغات الأوربيين العامية"، ولكن هذا الاتجاه لم ينجح في محيط الشعر والشعراء في رأي د. شوقى ضيف، لأنه من جهة يفقدنا تراثنا القديم ويقطع كل صلة ونسب بين حاضرنا وماضينا، ومن جهة ثانية يفصلنا عن لغة القرآن الكريم، وأيضا فإنه يفصل الأمة المصرية عن الأمم العربية.

وفي رأيه كان من أهم الأسباب في إخفاق هذا الاتجاه أن البارودي ومن نسجوا على منواله أثبتوا أن ضعف اللغة العربية لا يرجع إلى قصور ذاتي فيها، وإنما يرجع إلى الجهل بها، وعدم التزود بأساليبها الناصعة الشفافة التي لا تحجب معنى من المعاني. فاللغة العربية بذاتها ليست جامدة، وليست ضعيفة محصورة في خنادق البديع وما يتصل بها من المحسنات اللفظية والمعنوية وإنما ذلك شئ عارض منها، عرض لها في عصور محنتها وضعفها، وينبغي أن تعود إلى مجالها القديم، لتعبرعما نريد من مدارك ومشاعر، ولن يكون ذلك إلا عن طريق التثقف بها ثقافة حقيقية، نطلع منها على مصادرها وأساليبها وألفاظها الأولى.[٣٢]

٤- الترجمة ودراسة الإسلام المترجم

إن الدين الإسلامى يشمل البشرية جمعاء، ولغة جميع البشر ليست هى العربية، فكيف يكون السبيل إلى معرفة هذا الدين الإلهى، فخير وسلية لذلك هى تعليم وتعلم اللغة العربية، فبمعرفة اللغة العربية يستطيع الإنسان أن يدرس تعاليم الدين الإسلامى الحنيف في مصدريها الأساسيين مباشرة، وبالتالى إنه يعرف تعاليم الدين الصحيحة من غير حاجة إلى الترجمة، ولذلك تُدَرسُ العربية في الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامى، أما من خلال أعمال الترجمة فأعمال الترجمة أيضاً تطلب من المترجم أن يجيد العربية كأهلها، ويجيد أيضا اللغة التي يريد أن يترجم إليها من العربية. ولايتأتى هذا بدون دراسة العربية، ومعلوم أن الترجمة تعتبر دائما مجرد محاولة للتعبير ونقل الأفكار أو المعاني من لغة إلى أخرى. وأحياناً تكون هذه المحاولة أمينة ووفية، وأحيانا تكون غير دقيقة وغير جادة فتكون فاشلة. فلا يمكن أن نعتمد على الترجمة اعتماداً كاملا، إذ أنها لاتغني عن الأصل شيئا، حتى وإن كانت أمينة ووفية للأصل المترجم عنه، لأنها عاجزة تماما عن نقل الخصائص الفنية للغة التي تصاغ بها الآداب، وبدون هذه الخصائص تظل جهود المترجم كلها عديمة الجدوى فنيا، إذ يظل الأصل كما هو، كأنه (سيف رهين غمده).[٣٣]

فكل من يريد التعمق في دراسة الدين وشرائعه وأحكامه يجب ألا يعتمد على الترجمة وحدها اعتمادا كاملا، ولايقتنع بها، ولا يشبع بها، و إنما يجب عليه أن يتعلم العربية أولاً، ويتعرف على أسرار الكلام العربى، وهذا يطلب أن يعلم من هم أصحاب هذه اللغة يعنى (العرب) و ما هى أساليب محاوراتهم، وتقاليدهم وثقافتهم وحضارتهم بما فيها الاقتصاد والسياسية والبيئة وطبيعتها.

٥- تعليم العربية لغير الناطقين بها

يجب أن نتعلم اللغة كما يجب أن نتعلمها، فلا يمكن- كما هو معلوم- أن يدرس أجنبي لغة أجنبية بدون قواعدها الأساسية، وكذلك لايمكن أن نتعلم العربية بدون قواعدها، بدون معرفة الكلمة وأنواعها، لأن غير ناطق بالعربية يواجـــه في دراسته مشكلات عديدة منها مشكلات خاصة بالألفاظ LEXICAL ومشكلات خاصة بالتراكيب وتكوين الجمل SYNTACTIC ومشكلات الألفاظ ومشكلات مصادر اشتقاقها، ومعانيها ودلالاتها، واختلاف ذلك من سياق إلى سياق. ومشكلات التراكيب وهي المشكلة الكبرى وبناء وتكوين الجمل، وخصائص الصياغة، لأن التراكيب متنوعة: منها تراكيب لغوية وتراكيب اصطلاحية، وكذلك التعابير متنوعة: التعابير اللغوية والتعابير الاصطلاحية، والأدبية الفنية باختلافها، فيجب أن نهتم بدراسة قواعد اللغة العربية الأساسية من حيث النظرية والتطبيق، ويجب أن نعلم مذاهب النحو في البصرة والكوفة. وهذا لا يتأتى دون عناء ومشقة، لأن العلم جهد وليس استحقاق لأحد.

نحن لسنا مع هؤلاء الذين يقولون إن اللغة العربية أصعب لغات العالم وقواعدها معقدة وصعبة لغير الناطقين بها. مثل هذه الدعايات الكاذبة التي نسمعها من جانب أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمستشرقين المضللين خاطئة تماما، لا أساس لها من الصحة على وجه الإطلاق، لأنهم يحاولون إبعاد المسلمين عن دراسة التراث الإسلامي في لغتها الأصلية، لأنهم يترجمون مفاهيم الإسلام ترجمة خاطئة ومضللة ويدعون من يريد التخصص في الدراسات الإسلامية والعربية إلى أن يعتمد على ترجماتهم الخاطئة. صحيح إن اللغة العربية أفصح وأوسع لغة من لغات العالم. ووضعت قواعدها لحمايتها، حين ظهر اللحن في الكلام، وخاصة بعد اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم من البلاد المفتوحة -كما سبق- هو مما أدى إلى وقوع اللحن في اللغة العربية كما أن العرب اتخذوا العبيد والموالي والجواري لتدبير الشئون المنزلية في أوائل العصور الإسلامية. ويقال إن أبا الأسود الدؤلي لعب دورا مهما في وضع حجر أساس لبناء النحو العربي، ويقال أيضا إن العلماء اتفقوا على أن العراق كانت مهدا لنشأة النحو ومدينة البصرة هي المقر الأول لنشأته قبل الكوفة بقرن من الزمان. ويقال أيضا إن الطبقة الأولى من النحويين البصريين ظهرت في عهد نصر الدين عاصم (ت٨٩ هـــ) وظهرت الطبقة الأولى من النحاة الكوفيين في عهد أبي جعفر الرؤاس (ت١٧٥ هـــ) وهكذا تطور وضع القواعد العربية عبر العصور. ولا تزال الجهود مستمرة لتذليل العقبات الرئيسية التي تحول دون دراسة اللغة العربية، وهي ترمي إلى تسهيل قواعدها الأساسية، ونحن نعيش في عصر التطور يجب أن ندرس اللغة حسب مقتضيات روح العصر. ونقوم بتيسير القواعد العربية بلغاتنا المحلية. ونحن نرحب بالجهود المبذولة من قبل بعض الدول في

وضع القواعد العربية وننشد هؤلاء الذين يسعون إلى وضعها باللغة الملاوية أو الجاوية، حيث نرى البعض يقوم بتأليف مقترحات نحوية أو وضع مناهج في القواعد أو دراسة جوانب معينة من دروس القواعد: النحو والصرف في دنيا ملايو.

٦- نحو منهج دراسي متطور

يجب أن نختار منهجا جديداً لتدريس اللغة العربية، لأنني ألاحظ أن كثيرا من المدارس في البلاد الإسلامية الغير عربية يدرسون الكتب القديمة للقواعد منذ مئات السنين ويضيعون أعمار التلاميذ في كتب القواعد العربية القديمة مثل الكافية والشافية لابن الحاجب والمفصل للزمخشرى وشرح الجامى وألفية ابن مالك وغيرها من الكتب، بدون تمارين تطبيقية. علينا أن نختار لهم كتب جديدة تم تدوينها حسب تطور الزمن. وعلينا أن نختار المنهج الدراسى السهل المباشر لدراسة اللغة العربية، ونوفر للطلبة المواد الدراسية الفعالة منذ المرحلة الأولى من الدراسة مثل كتب القصص القصيرة وكتب القراءات الراشدة، ومختارات من الأشعار الرائعة والنثر الفنى (من الأدب العربى القديم والحديث) وذلك للمحافظة على التراث الأدبى العربى، والمحافظة ليست في معنى سيئ أو التقليد الببغاوى الأعمى مثل تقليد الأطفال الآباء والأمهات والمربيات، وإنما هى في معنى المحاكاة الرشيدة، وهى مهمة جدا لتكوين شخصية الدارس العربية وتربية ذوقه العربى، وكذلك نعلمهم في المراحل المتوسطة الإنشاء وكتابة المقالات، ونعلمهم العروض والقوافي (الأوزان العربية) والبلاغة والبيان، وندرسهم تاريخ العرب وأدبهم العربى، ولا نتجاهل توفير وسائل المتعة والجاذبية في طرق التدريس المستخدمة للدراسة.

-ثم نشجعهم على المحادثة والخطابة، وذلك لتحسين المهارات اللغوية، ونشجعهم على مطالعة الكتب الخارجية يعنى غير كتب المواد الدراسية المقررة. ونشجعهم على تأسيس الجمعيات والنوادى الخاصة بمن يرغبون في المحادثة والكتابة بالعربية. ونشجعهم على اشتراك في مسابقات الخطابة الشفوية والتحريرية وتقديم المقالات في إحدى موضوعات الساعة.

-ونشجعهم على قراءة الصحف والمجلات والجرائد العربية لأنها تكون غنية بالمفردات المتنوعة: السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية والرياضية وغيرها.

-ونشجعهم على ترجمة النصوص العربية إلى اللغة المحلية وبالعكس، لأن الترجمة فن ودراية، و تكون أحيانا خير من إبداع و ابتكار أعوزه التوفيق، والترجمة تعلم دارسى اللغة كثيرا من الآداب والمعارف والثقافات الأجنبية.

-وكذلك نشجعهم على استخدام وسائل الأجهزة الإعلامية الحديثة: الصوتية والمرئية مثل: الراديو والتليفزيون و الكمبيوتر. وكذلك نطلب منهم الجهد لرفع مستوى مهاراتهم و قدراتهم في فهم كتب اللغة العربية القديمة من خلال قراءات نماذج مختارة (شعرية كانت أو نثرية).

-وكذلك نشجعهم على مشاهدة الأفلام والمسرحيات والمسلسلات العربية: مثل الأيام، وصلاح الدين الأيوبي، وعمرو بن العاص، و عمر مختار، و خاصة مسلسلات (لا إله إلا الله) ومحمد رسول الله -ﷺ-، وشيماء أخت الرسول عليه الصلاة والسلام، والرابعة العدوية وغيرها. وذلك لتمرين اللسان العربي، ودراسة استخدام المحاورات وأساليب الحوار بالعربية.

-وأخيراً نحن لا نوافق بحال من الأحوال على أن نسمي ما نواجهه من عناء ومشقة في تدريس اللغة العربية مشاكل اللغة، لأنها في الحقيقة ليست مشاكل، وإنما هي تقصير من جانبنا، لأننا لم نقم بتطوير المناهج الدراسية، وبتسهيل القواعد العربية. وأنتم تعلمون جيدا ما تم تدوينه من كتب في هذا المجال. بل هذا القول (مشاكل اللغة) يرجع عندنا إلى الكسل والهوينى.

وبعد ما نقوم بتدريس اللغة العربية حسب المنهج التطبيقي والعملي الفعال ستظهر الفائدة المرجوة منه (إن شاء الله) ويكتسب الطالب قدرات ومهارات لغوية من خلال استخدامه المنهج السليم، وهو بهذه الثقافة والمهارة اللغوية المكتسبة يتوجه إلى مرحلة الدراسات العليا لنيل درجة الماجستير والدكتوراه، فنحاول أن نرسم هنا صورة المنهج الدراسي لقسم اللغة العربية وآدابها لاستخدامه في مراحل الدراسات المختلفة، وخاصة لمن يتوجه للدراسات التخصصية.

صورة بيانية للمنهج الدراسي

المواد الدراسية بالإجمال:

١-	**القواعد العربية**	(النحو والصرف)
٢-	**القواعد البلاغية**	(المعاني والبيان والبديع)
٣-	**العروض والقوافي**	(قواعد أوزان الشعر العربي)
٤-	**النصوص الأدبية**	(مختارات من الشعر والنثر)
٥-	**تاريخ الأدب العربي**	(القديم والحديث)
٦-	**تاريخ الإسلام**	(العرب قبل الإسلام وبعده)
٧-	**الأدب المقارن**	(دراسة الصلات الأدبية)
٨-	**النقد الأدبي**	(القديم والحديث)
٩-	**قاعة بحث**	(كتابة المقالات والبحوث)

---

[١] محمد مندور, *الأدب و النقد*, (القاهرة, مكتبة النهضة المصرية, ١٩٨٨), ص ١٩.
[٢] محمد مندور, *الأدب و فنونه*, القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, بدون تاريخ), ص ٥٢.
[٣] رشدى أحمد طعيمة, *تعليم العربية لغير الناطقين بها*, (الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة, ١٩٨٩), ص ٣١-٣٢.
[٤] أحمد كمال زكى, *دراسات فى النقد الأدبى*, (بيروت: دار الأندلس, بدون تاريخ), ص ٣١.
[٥] أحمد الإسكندرى ومصطفى العنانى, *الوسيط فى الأدب العربى و تاريخه*, (مصر: دار المعارف), ص ١١-١٢.
[٦] محمد رضا مروة, *الصعاليك فى العصر الجاهلى*, (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٩٠), ص ٧.
[٧] عبد الرحمن بدوى, *دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى*, (بيروت: دار العلم للملايين, ١٩٧٩), ص ١١٨.
[٨] أحمد أمين, *ضحى الإسلام*, (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, ١٩٧٤), ج ٢، ص ٢٤٤.
[٩] عمر الدسوقي, *النابغة الذبياني*, (بيروت: مطبعة لجنة اللسان العرب, ١٩٥٤), ص ٣١.
[١٠] راجع مقال العروبة والإسلام للأستاذ محمد عمارة في مجلة الهلال عدد نوفمبر عام ١٩٨٣ ص. ٣٢-٣٦.
[١١] عبد الرحمن بدوى, *المرجع نفسه*, ص ١٢٠.
[١٢] *المرجع السابق*
[١٣] راجع إلى هذه الآراء في مقال جواد علي عن لهجات العرب قبل الإسلام في كتاب *الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة*, الصادر من مكتبة النهضة بالقاهرة.
[١٤] كارل بروكلمان, *تاريخ الأدب العربي*, (مصر: دار المعارف), ج. ٤٢/١.
[١٥] شوقى ضيف, *العصر الجاهلي*, (مصر: دار المعارف) ص ١٣١.
[١٦] سعد ظلام, *من الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي*, (القاهرة: دار المنار, ١٩٩٢), ص ١٢٥.
[١٧] أحمد الإسكندرى و مصطفى العنانى, *المرجع نفسه*, ص ١٧.
[١٨] محمد إقبال/ صلاح الدين الندوى, *الاتجاه الإسلامى فى شعر*, (الهند: الدار السلفية, ١٩٩١), ص ٤١٣.
[١٩] الأستاذ طه أحمد إبراهيم, *تاريخ النقد الأدبى عند العرب*, (بيروت: دار الكتب العلمية, بدون تاريخ), ص ١٥.
[٢٠] طاهر عبد اللطيف عوض, *الأدب العربى*, (القاهرة: كلية الدراسات الإسلامية للبنين جامعة الأزهر, ١٩٩٩م).
[٢١] ابن خلدون, *المقدمة*, (القاهرة: مطبعة عيسى البابى الحلبى, ١٩٦٠م.)
[٢٢] طه ندا, *الأدب المقارن*, (مصر: دار المعارف, ١٩٨٠م.), ص ٢٥٠-٢٥١.
[٢٣] محمد محمد حميس, *دراسات فى الأدب العربى*, (القاهرة: كلية الدراسات الإسلامية و العربية بجامعة الأزهر, ٢٠٠١م.)

[٢٤] *مناهج المستشرقين*, صدر بمناسبة الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجرى من مكتب التربية لدول الخليج- الرياض ١٩٨٥م., ج ١، ص ٣٩٦-٣٩٧.
[٢٥] طه حسين, *الأدب الجاهلى*, (مصر: دار المعارف, عام ١٩٦٤م.), ص ٢٦.
[٢٦] *المرجع السابق*, ص ٨٠.
[٢٧] شوقى ضيف, *البحث الأدبى*, (مصر: دار المعارف), ص ٨٥-٨٨.
[٢٨] محمد مندور, *المرجع نفسه*, ص: ٦٥- ٦٦.
[٢٩] شوقى ضيف, *البحث الأدبى*, ص ٨٥-٨٨.
[٣٠] شوقى ضيف, *الأدب العربى المعاصر*, (مصر: دار المعارف), ص ٢٢.
[٣١] عز الدين الأمين, *نظرية الفن المتجدد*, (مصر: دار المعارف), ص ١٠.
[٣٢] شوقى ضيف, *الأدب العربى المعاصر*، ص ٤٤-٤٥.
[٣٣] محمد غنيمى هلال, *الأدب المقارن*, (القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية, ١٩٦٢م), ص ٢٥.

المراجع

محمد مندور, *الأدب والنقد*, (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, ١٩٨٨).
_____, *الأدب وفنونه*, القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, بدون تاريخ).
_____, *العصر الجاهلي*, (مصر: دار المعارف)
رشدى أحمد طعيمة, *تعليم العربية لغير الناطقين بها*, (الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة, ١٩٨٩).
أحمد كمال زكى, *دراسات فى النقد الأدبى*, (بيروت: دار الأندلس, بدون تاريخ).
أحمد الإسكندرى ومصطفى العنانى, *الوسيط فى الأدب العربى و تاريخه*, (مصر: دار المعارف).
محمد رضا مروة, *الصعاليك فى العصر الجاهلى*, (بيروت: دار الكتب العلمية, ١٩٩٠).
عبد الرحمن بدوى, *دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلى*, (بيروت: دار العلم للملايين, ١٩٧٩).
أحمد أمين, *ضحى الإسلام*, (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, ١٩٧٤).
عمر الدسوقي, *النابغة الذبياني*, (بيروت: مطبعة لجنة اللسان العرب, ١٩٥٤).
جواد علي, *الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة*, (القاهرة: مكتبة النهضة).
كارل بروكلمان, *تاريخ الأدب العربي*, (مصر: دار المعارف).
سعد ظلام, *من الظواهر الفنية في الشعر الجاهلي*, (القاهرة: دار المنار, ١٩٩٢).
محمد إقبال/ صلاح الدين الندوى, *الاتجاه الإسلامى فى شعر*, (الهند: الدار السلفية, ١٩٩١).

طه أحمد إبراهيم, *تاريخ النقد الأدبي عند العرب*, (بيروت: دار الكتب العلمية, بدون تاريخ).
طاهر عبد اللطيف عوض, *الأدب العربي*, (القاهرة: كلية الدراسات الإسلامية للبنين جامعة الأزهر, ١٩٩٩م).
ابن خلدون, *المقدمة*, (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي, ١٩٦٠م.)
طه ندا, *الأدب المقارن*, (مصر: دار المعارف, ١٩٨٠م.).
محمد محمد خميس, *دراسات في الأدب العربي*, (القاهرة: كلية الدراسات الإسلامية و العربية بجامعة الأزهر, ٢٠٠١م.)
طه حسين, *الأدب الجاهلي*, (مصر: دار المعارف, عام ١٩٦٤م.).
شوقي ضيف, *البحث الأدبي*, (مصر: دار المعارف).
_____, *الأدب العربي المعاصر*, (مصر: دار المعارف).
عز الدين الأمين, *نظرية الفن المتجدد*, (مصر: دار المعارف).
محمد غنيمي هلال, *الأدب المقارن*, (القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية, ١٩٦٢م).
مجلة الهلال عدد نوفمبر عام ١٩٨٣.